الفصل الخامس

غباء المدارس

هل الأولاد الأمريكيون أغبياء؟ فقرة الكوميدي جي لينو التي تجري فيها مقابلات مع أولاد تجعلنا نتساءل عن ذكائهم.

جي لينو: ماهي الولاية التي تجري سباق كنتاكي ديربي كل سنة؟

[يسأل ذلك إلى شابة تقف ساكنة] فكري في ذلك.. أية ولاية... تجري سباق؟؟ كنتاكي... ديربي كل سنة؟

الشابة: كنساس؟

جي لينو: ماهو اسم الكاتب الأمريكي؟ أرنست...

الشابة: تشامب؟

جي لينو: أرنست تشامب؟ لا أرنست همـ... همنغـ...

الشابة: همنغتون؟

جي لينو: أكمل اسم هذا الكتاب؟ الحرب والـ...

الشاب: الجنس؟

ليست الإجابات هذه من اختلاقات هوليوود وإنما إجابات حقيقية. مع ذلك فإن كلمة «غباء» استعمالها بشع عنواناً لفصل يتناول التعليم من الحضانة إلى الثانوية. لكن ذلك كان عنوان فقرة وصفتها في أخبار ABC أنا فخور بذلك البرنامج. كنت أريد تسمية البرنامج «التعليم» أو «النظام في حالة فوضى» لكن رئيسي قال لي «أجننتْ؟ كلمة (تعليم) تبدو مضجرة وكلمة (نظام) كلمة مملة. المنافسة على المشاهدين أشد من أي وقت مضى، يجب أن نعطي هذا البرنامج عنواناً يجذب فضول الناس سندعوه (غباء)».

لقد جادلته في الأمر لكنه كان محقاً. «غباء» كلمة ممتازة لأن قرار أمريكا بتولي الحكومة حصراً للمدارس الحكومية قرار غبي للغاية. وجعل إدارة يسيطر عليها الاتحاد تدير المدارس أمر أغبى. الهيئات المحتكرة الاتحادية تخلف بيروقراطيات رهيبة لا تخدم الناس جيداً.

على عكس ذلك تحسن المنافسة الخدمات بشكل ملحوظ. لقد غيرت المنافسة تصريفي في برنامج 20/20 لو لم يهددني المنافسون لكنت سأبث القصة تلو الأخرى حول الاقتصاد اللبرالي والسياسات العامة المحلية التي أجدها أنا مذهلة. ستكون تلك القصص طويلة وشائقة بالنسبة لي لكنها قد تثير مللكم.

لأنني أعرف أن لدى المشاهدين خيارات عديدة وجهها رومونت كونترول أحاول أقصى جهدي فأجد صوراً ممتعة ترافق التقرير وألاحق الخبراء الهامين، وأمشي فوق الفحم المحترق وأرمي نفسي بنهر هدسون وأشياء أخرى غريبة أقوم بها كي أجعل التقارير ممتعة وشائقة.

أعطتنا المنافسة أفضل قنوات التلفاز والبيوت والسيارات والطعام والهواتف وكل شيء. البريد الحكومي لا يستطيع توصيل البريد في ليلة واحدة لا أحد من مديريه اللامعين من الحكومة استطاع فعل ذلك ولكن عندما فتح باب المنافسة أمام شركات أخرى استطاعت Federal Express و United parcel service و Airborne Express توصيل البريد في ليلة واحدة. والآن حتى البريد الحكومي يمكنه فعل ذلك (أحياناً). المنافسة تلهم الناس فعل مالم يظنوا أنهم قادرون على فعله من قبل.

فلم لا نسخر ميزاتها في تعليم أولادنا؟

خرافة: تعليم الأطفال موضوع أهم من أن يترك لغموض منافسة السوق.
حقيقة: تعليم الأطفال موضوع أهم من أن يترك لاحتكار الحكومة.

فكر في الخيارات المتاحة أمامك عندما تذهب لشراء هاتف جوال تقدم الشركات عروضاً مختلفة مبنية على عدد الدقائق التي تريد الحصول عليها وحجم أسرتك

وإذا كنت تسافر كثيراً أم لا وملايين من الأمور الأخرى. لا تقدم شركات الهاتف الجوال كل تلك العروض لأنها تحبك أو لأنها تهتم بأعمالك.

لم لا يكون التعليم مماثلاً لذلك؟ لو أتيح للناس اختيار المدارس لأولادهم لكانت الخيارات لا نهائية. ستكون هناك قريباً مدارس تكنولوجيا، مدارس رخيصة تشبه وال مارت، مدارس افتراضية يتعلم الأطفال في منازلهم وبوساطة الحاسوب، مدارس رياضة، مدارس موسيقى، مدارس تعمل على مدار السنة، مدارس الزي الموحد، مدارس تفتح أبوابها باكراً وتغلقها في ساعة متأخرة. ومن يستطيع التكهن بما سيحدث لو كانت هناك منافسة؟ ستزدهر كل الأفكار الجديدة الخلاقة.

هذا ما جرى فعلاً في بلاد أخرى.

لقد أعطينا امتحانات مماثلة لتلاميذ ثانوية في نيو جرسي وفي بلجيكا وسألنا الأولاد البلجيكين، «ما رأيكم في هذا الامتحان؟»

صبي أول: حسناً لقد شعرت أنه سهل جداً بالمقارنة مع الامتحانات التي نأخذها هنا عادة. (لقد كان الامتحان سهلاً كشربة ماء).

صبي ثان: كان الامتحان سهلاً جداً أعتقد أنه إن لم يستطع الأولاد الأمريكيون النجاح به فهذا يعني أنهم حقاً أغبياء.

كانت كلمة «أغبياء» قاسية لكن الأولاد البلجيكين تمكنوا من الإجابات الصحيحة بنسبة 76 بالمئة مقابل 47 بالمئة من الأولاد الأمريكين. لن ننتق أولاداً أذكياء في بلجيكا وأولاداً أغبياء في أمريكا التلاميذ الأمريكيون أخذناهم من مدرسة فوق الوسط في نيو جرسي وأولاد نيو جرسي فازوا بنتائج امتحانات أفضل من الوسط على مستوى أمريكا.

قال لي ولد أمريكي أحرز أعلى مجموع نقاط في الامتحان: «أنا مصدوم إذ يوضح هذا كم هم متقدمون بالمقارنة معنا».

سألت الأولاد في نيو جرسي:

ستوسل: حسناً هل التلاميذ الأمريكيون أغبياء؟

التلميذ الأول: لا نحن لسنا أغبياء.

التلميذ الثاني: أعتقد أن الأمر يتعلق بالمدرسة فأنا لا أعتقد أننا أغبى منهم.

أنا أوافقه الرأي. إنها المدارس ففي عمر العاشرة أجرى تلاميذ من خمسة وعشرين بلداً نفس الامتحان وكانت ترتيب التلامذة الأمريكين في الدرجة الثامنة أي أكثر بكثير من الوسط العالمي. ولكن في عمر خمس عشرة سنة عندما أجري الامتحان لتلامذة من أربعين بلد حلّ الأمريكيون في المرتبة الخامسة والعشرين أي دون الوسط العالمي بكثير. (انظر المخطط ص151) أي كلما طال بقاء الأولاد الأمريكين في المدرسة انخفض مستوى أدائهم في المنافسة العالمية. وكان أداؤهم أقل بكثير من أولاد في بلدان فقيرة وغير متقدمة مثل كوريا وبولندا التي تنفق من المال على التعليم أقل مما تنفقه الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا الأمر لا يجب أن يفاجئنا خاصة عندما نتذكر أن التعليم الحكومي (العام) في أمريكة هو احتكار حكومي. ترسل العائلات أولادها إلى مدارس تختارها الحكومة. ماذا لو كنت تكره المدارس الحكومية؟ هذا مؤسف. ماذا لو كانت المدرسة رديئة؟ هذا مؤسف. تذهب نقود الضرائب التي تدفعها إلى مدرسة ما بغض النظر إن كانت جيدة أو سيئة.

تخيب احتكارات الحكومة بشكل مستمر آمال زبائنها.

عمر 10

الصف	البلد
1	سنغافورة
2	هونغ كونغ SAR
2	اليابان
2	الصين تايبي
5	لاتفيا
6	إنكلترة
7	هولندة
8	بلجيكا (فلمتغ)
8	بلجيكا (الفدرالية)
8	الولايات المتحدة
11	هنغاريا
12	ليتوانيا
13	أوستراليا
14	إيطاليا
14	نيوزيلندة
16	جمهورية مولدوفا
17	قبرص
18	سكوتلندة
19	سلوتانيا
20	أمرينيا
20	النرويج
22	الجمهورية الإسلامية في إيران
23	الفيليبين
24	مراكش
24	تونس

عمر 15

الصف	البلد
1	فنلندا
2	كوريا
3	هونغ كونغ – الصين
4	ليشتنشتاين
5	اليابان
6	أوستراليا
7	كندا
8	نيوزيلندة
9	هولندة
10	ماكاد ــ الصين
11	بلجيكا
12	سويسرة
13	السويد
14	فرنسة
15	جمهورية التشيك
16	إيرلندا
17	إيسلندا
18	ألمانيا
19	دانمرك
20	النمسا
21	بولونيا
22	النرويج
23	هنغاريا
24	جمهورية سلوفاكيا
25	الولايات المتحدة
26	لاتفيا
27	لوكسمبورغ
28	أسبانيا
29	روسية الفدرالية
30	إيطاليا
31	البرتغال
32	اليونان
33	تركيا
34	صربيا
35	أورغوي
36	تايلاند
37	المكسيك
38	البرازيا
39	إندونيسيا
40	تونس

إن شركات الطيران الحكومية تملك العديد من الطائرات القذرة والتي لا تصل في مواعيدها أبداً. وأفضل سيارة صنعها معمل سيارات حكومي (تدعى تارابان، فخر ألمانيا الشرقية) لا تصمد أمام منافسة أي نوع متوسط من سيارات المعامل الخاصة.

في أمريكا كانت الحكومة تسيطر على شركة الهاتف. وكانت عندها جميع الهواتف سوداء وجميع المكالمات مكلفة. وكان اقتناء جهاز الرد على المكالمات أمراً غير قانوني ـ دعته الحكومة تركيب «جهاز أجنبي». وعندما هُدمت سيطرة الحكومة على الهواتف واحتكارها لها رخصت أسعار المكالمات وتنوعت أجهزة الهواتف مثلما لدينا اليوم.

لم علينا أن نأتمن الحكومة على التعليم الأمريكي؟

معظم البلدان التي بذتنا في الامتحانات العالمية لديها مدارس تدعمها الحكومة ولكنها تعطي الطلاب أيضاً خيارات أخرى. في بلجيكا تصرف الحكومة أقل مما تصرفه المدارس الأمريكية على كل طالب. لكن المال يتعلق بالأولاد ولا يمكن صرفه على أية مدرسة حكومية أو دينية أو دنيوية.

تدير كات فاندنسافيل مدرسة حكومية بلجيكية ولكن عليها أن تنافس. قالت لنا إن عليها أن تعمل جهدها كي تعجب الأهالي «إن لم نقدم لهم ما يريدون لأطفالهم فإنهم لن يأتوا إلى مدرستنا» هذا الضغط هام جداً إذ إنه يجبر المدارس البلجيكية على التجديد حتى تروق للأهل والطلاب. تقدم مدرسة كات برامج رياضية إضافية ودروساً في تصفيف الشعر والميكانيك والطبخ وتصميم الأثاث. قالت لنا «يجب أن نعمل بجد يوماً بعد يوم. وإلا سنفشل في عملنا ونفلس. لا نستطيع أن نتحمل نفقات عشرة أساتذة لا يقومون بعملهم كما يجب من أصل 160 أستاذاً، لأن الزبائن سيعلمون بتقصيرهم ولن يأتوا إلينا».

قالت لي عالمة الاقتصاد في هارفرد كارولين هوكسباي «هذا أمر طبيعي في أوروبا، إن لم يكن أداء المدارس جيداً لا شيء يرغم الأهالي على الالتزام بتلك المدارس بالطريقة التي يلزمون بها هنا في أمريكا» وتضيف فادينسا فيل «تبدو أمريكا كبلد من القرون الوسطى... بلد شيوعي في مستوى التعليم لأنه لا توجد حرية اختيار للأهالي والطلاب على حد سواء».

قالت أندرياس شلايكر التي أدارت الامتحانات العالمية التي أعطيت إلى الأولاد بعمر الخامسة عشرة (يدعى امتحان PISA) قالت إن حرية اختيار المدرسة وحرية المدارس بالإدارة تهمان أكثر ممن يحكم المدرسة. ويوافق على ذلك جان دو غروف وهو واحد ممن شاركوا في كتابة أهم الدراسات العالمية حول التعليم. وهو يقول إن المفتاح هو حرية الأهالي في الاختيار وأيضاً حرية المدارس بخلق نوعية المدرسة التي يسعون إليها: «بحثنا واضح جداً. كلما ازداد التمركز والتشدد بالزي الموحد... وسيطرة نظام الولاية، انخفضت نوعية التعليم».

ولقد رأينا الفروق ضمن بلجيكا أيضاً. فمنذ عام 1989 انفصل نظام المدارس بين المنطقة الفلمنكية والمنطقة الفرنسية. والحكومة تدفع إلى المدارس في الطرفين لكنها تعطي مدراس الناحية الفلمنكية استقلالاً أكبر. وكان أداء الأولاد في الجانب الفلمنكي أفضل في الفحوص العالمية.

تشير الإحصائيات إلى أن معظم الأهالي الأمريكيين يعتقدون أن مدارس أولادهم الحكومية جيدة ولكنهم يعتقدون ذلك لأنهم لا يعرفون ما يفتقد إليه أولادهم في تلك المدارس! بدون منافسة حقيقية يصعب تخيل ما أمكن توفيره لأطفالهم. قالت لنا أم بلجيكية إنها عاشت هي وابنها مرة في أمريكا وذهلت عندما حددت مدرسة معينة لابنها ولم يكن لديها الخيار. «في أمريكا كان علي التوسل، أرجوكم، أرجوكم أعطوا ابني مدرسة جيدة. أما هنا فالمدارس الجيدة تنتشر في كل مكان».

خرافة: تضم المدارس الحكومية تلاميذ من مختلف البيئات.
حقيقة: تفرق المدارس الحكومية، أكثر من المدارس الخاصة بين التلاميذ من البيئات المختلفة.

يقول العاملون في المدارس الحكومية إن هذه المدارس «تحقق المساواة» وعلى عكس المدارس الخاصة فإنها تعطي الأقليات والفقراء الفرصة للنجاح. ولكن في الواقع تفصل المدارس الحكومية التلاميذ حسب بيئاتهم. تام جاي غرين مؤلف

كتاب خرافات التعليم Education Myths أوضح ببحث له أن 54.5 بالمئة من تلاميذ المدارس الحكومية يذهبون إلى صفوف تحوي إما 90 بالمئة من البيض أو 90 بالمئة من الأقليات. أما في المدارس الخاصة فبلغت نسبة التفرقة بين التلاميذ أقل وهي 41.1 بالمئة».

هذا ليس لأن العنصرين يوجهون الأولاد إلى مدارس مختلفة بل لأن الأهالي الأغنياء ينتقلون إلى مناطق فيها مدارس أفضل بينما يعلق الفقراء في مدرسة منطقتهم.

إن ثانوية بالو Ballou هي إحدى أسوأ المدارس في مدينة واشنطن. وعندما زرناها قالت لنا الطالبة لاجوانا براون إن الأساتذة في مدرستها لا يأتون لإعطاء الدروس «ليس هناك مكان نذهب إليه سوى الأروقة، لا أحد يهتم ولا يوجد شيء نفعله» كانت تعلم أنها عالقة ومسجونة في هذه المدرسة التي خصصت لها «ليس لدي أي خيار سوى المجيء إلى هنا».

إن اتبعت القانون فلا خيار لها. كان بإمكانها أن تتظاهر أنها تعيش في منطقة أخرى ولكن قد يقبض عليها جواسيس مدارس المنطقة. في سانت خوزه في كاليفورنيا قمنا بتصوير أحد أولئك التحريين جون لوزانا، وهو يذهب من بيت إلى بيت ليتأكد من أن الأولاد يذهبون إلى المدارس المخصصة لهم في فريمونت يونيون وأنهم لا يكذبون حول منطقة إقامتهم. العديد يكذبون لأن مدارس فريمونت أفضل من مدارس المنطقة المحيطة بها.

لوزانا يعتز بعمله ولقد تتبعناه وهو يدخل إلى البيوت وحتى إلى غرف الأولاد ويتحرى وجود الحواسيب والصور الشخصية والملابس على الأرض التي تثبت أن التلميذ يعيش فعلاً هناك. لقد كشف حيلة جدة كانت تساعد حفيدها وتؤمن له تعليماً أفضل بادعائها أنه كان يعيش معها في عنوان من منطقة مدارس جيدة «لقد كشفها بكل تأكيد كشفها» قال لوزانا برضى «هذا الولد لن يمكنه أن يذهب إلى مدارسنا لأنه لا يعيش في منطقة مدارسنا هذه».

بعد يومين تحدثت مع الجدة حول هذا الأمر.

استر تابينغ: لقد بكيت، فكل ما أردت فعله هو تأمين تعليم أفضل لحفيدي.
ستوسل: إنه أمر مخيف أنهم اضطروك إلى الكذب كي توفري لولدك تعليماً أفضل.
استر تابينغ: لم لا يدعون الأهالي يختارون لأبنائهم المدرسة التي يريدونها؟

لأن الحكومة المسيطرة تعتقد أنها تعرف أكثر من الأهالي.

خرافة: يتعلم الأولاد القراءة في المدارس الابتدائية الحكومية.
حقيقة: معظمهم لا يستطيعون القراءة حتى في الثانوية.

لعلي أسمعك تقول لي «أتجعل المدارس الأولاد أغبياء؟ هذا ليس صحيحاً، إنها ليست غلطة الأساتذة بل غلطة الأهالي اللامبالين!»

صحيح أن للأهل الدور الأهم فأولئك الذين يقرؤون لأولادهم ويسألونهم عن عملهم في المدرسة ويبدون الاهتمام في تعليمهم هم الذين يربون الأولاد المتفوقين. وعندما يفشل الأهالي في ذلك تكون مهمة الأستاذ أصعب بآلاف المرات.

ولكن كثيراً من الأهالي المهتمين بتعليم أولادهم لا يملكون خياراً سوى أن يرسلوا أولادهم إلى مدارس سيئة. مراقبة الأهالي الذين يبتغون تعليماً جيداً لأولادهم عن طريق المدارس الحكومية يشبه انتظار أشعة الشمس أن تدخل غرفة ليس لها نافذة. لا يصل الأهالي إلى أية نتيجة.

دوريان كين طالب في آخر صف في الثانوية في مدرسة لي سنترال Lee Central في ولاية ساوث كارولينا. هذه المدرسة أُدرجت في أسوأ مرتبة بدراسة قامت بها ولاية ساوث كارولينا. علماً بأن ولاية ساوث كارولينا حصلت على أضعف معدل درجات في فحوص SAT الأمريكية. عندما طلبت من دوريان أن يقرأ لي من كتاب التاريخ المقرر في مدرسته لم يستطع.

ستوسل: أتعلم أن هناك عالماً واسعاً سينفتح أمامك إن تعلمت القراءة.
دوريان: نعم أعلم ذلك. أعلم أنني لو كنت أقرأ بشكل أفضل لما كنت ولداً صعباً.

ستوسل: هل حاولوا أن يعلموك القراءة؟

دوريان: من وقت إلى آخر.

ستوسل: حسناً ماذا كانوا يفعلون؟

دوريان: كانوا يقولون اقرأ بنفسك. اذهب إلى المنزل واقرأ ولم أكن أفعل ذلك.

ستوسل: لكنهم كانوا ينجحونك إلى صفوف عليا باستمرار؟

دوريان: نعم يا سيدي.

هذا ليس أمراً غريباً إذا صرحت وزارة التعليم في أمريكا أن ربع طلاب السنة الأخيرة في الثانوية لا يستطيعون القراءة بمستوى أولي بسيط. كانت والدة دوريان تطلب المساعدة من المدرسة لمدة سنوات.

جينا كين: عليك أن تتوسل، مهما كان طلبك فإنك تتوسل يجب أن تترجاهم لأنهم أقوياء.

ستوسل: لقد قابلوك للتحدث بشأن ابنك.

جينا: نعم.

لقد سجلنا إحدى هذه المقابلات. كان الأمر لا يصدق. اجتمع العديد من «خبراء» التعليم: مدير «برنامج الأطفال المتميزين» و«الأستاذ المرجع» لدوريان وأستاذه في التربية البدنية والمشرف على المدرسة ومنظم التعليم الخاص في المنطقة. كانت والدة دوريان تحدق بذهول وهم يلقون عبارة رسمية فصيحة مثل «تقويم السلوك الوظيفي» و«بيئة أقل صرامة» قال مدير المدرسة «أرى فيه تطوراً عظيماً، ليس لدي أي قلق» دام اللقاء خمساً وأربعين دقيقة. وكانت هناك العديد من الأوراق للتوقيع.

سألت فيما بعد رئيسة مجلس مدارس المنطقة دولوريس رايت ومراقب المنطقة د. ليود هانتر حول فشل مدارسهم وفاجأني بردودهما حول ذلك الموضوع.

دولوريس رايت: أداء أطفالنا حسن.

ستوسل: لديكم أولاد مثل دوريان لا يستطيعون القراءة! أليست وظيفتكم أن تعلموهم القراءة؟

د. لويد هانتر: إنها مهمة المدرسة أن تعلم الأطفال القراءة.

ستوسل: إنكم تنجّحون بعض الأولاد في الصفوف على الرغم من أنهم لا يستطيعون القراءة.

د. لويد هانتر: هذا محتمل جداً.

ستوسل: ألا يستطيع كل ولد تعلم القراءة.

د. لويد هانتر: نحن نؤمن أن كل طفل يستطيع تعلم القراءة. لكن حصيلة ما تفعله في المدرسة يعتمد على قدرة تلك المدرسة.

ستوسل: لديكم اثنتا عشرة سنة وتصرفون 100.000$ على هؤلاء الأطفال ولا تستطيعون تعليم الطفل القراءة؟

د. لويد هانتر: لا أعتقد أن لدينا طلاباً بقوا في المدرسة اثنتي عشرة سنة ولا يستطيعون القراءة. أنا لا أقبل بذلك.

لعله لا يقبل ذلك لكن دوريان لا يستطيع القراءة. قررنا إرساله إلى مركز سيلفان للتعليم. هل نستطيع شركة خاصة النجاح فيما فشلت فيه مدرسة حكومية؟ نعم. فبعد اثنتين وسبعين ساعة فقط من الدروس قفزت قدرة دوريان على القراءة مستوى صفين.

لاحظت جينا التغيير في دوريان خلال تلك المدة القصيرة. كانت العائلة تتلقى دائماً مجلة رياضية في البريد وفجأة بدأ دوريان يقرأها وأيضاً بدأ دوريان استعمال البطاقات كي يعلم نفسه بعض المفردات في المنزل. قال لنا «أنا أثق بنفسي أكثر من قبل»

كيف يمكن لسيلفان أن تُعلم في أسابيع مالم تعلمه المدرسة في اثنتي عشرة سنة؟ «نحن مسؤولون أمام الأهالي، نحن مسؤولون أمام طلابنا نحن نلتزم بما قلنا إننا نستطيع عمله». قالت ستفاني هولاندنتس واحدة من المديرين في مركز سيلفان الذي التحق به دوريان:«إن لم يكن لدينا طلاب في المركز سنفقد عملنا. نحن نريد أهالي سعداء».

يكلف برنامج سيلفان نحو 3000$ أنفقت المدارس الحكومية في ساوث كارولاينا 100.000$ على «تعليم» دوريان.

خرافة: المدارس الحكومية لا تملك موارد مالية كافية.
حقيقة: تملك المدارس الحكومية أموالاً طائلة.

كتب على لافتة في مظاهرة احتجاج قام بها اتحاد أساتذة أن الولايات المتحدة تنفق «الكثير على الحرب والقليل على المدارس» يدرج الأهالي والمدرسون «قلة المال» في أول لائحة المشكلات التي تواجهها المدارس. الكل يعلم أن الأموال قليلة في هذا المجال.

في جنوب كاليفورنيا قال لي أولئك المسؤولون الذين فشلوا في تعليم دوريان إنهم يحتاجون إلى المزيد من النقود.

ستوسل: كم تبلغ الزيادة من النقود اللازمة؟
دولوريس رايت: كم؟ ملايين. ذلك سيصحح الأمور تماماً.
ستوسل: يُنفق الآن عشرة آلاف على الولد الواحد، فكم تريدون خمسة عشرة ألفاً؟ عشرين ألف؟
دولوريس رايت: عشرين ألفاً، خمساً وعشرين ألفاً، ثلاثين، الأكثر أفضل.

طبعاً الأكثر أفضل. ولكن لنتوقف قليلاً ونجري الحساب: قالت إن 10.000$ للولد الواحد ليست كافية لكن 10.000 للطالب هي 250.000 لصف مكون من خمسة وعشرين ولداً. هذه كلها مصاريف للتعليم وليست نفقات تصرف على المكان ـ فالأرض والبناء دفع ثمنهما من قبل. ألا تكفي 250.000$ ليتعين عدد من الأساتذة المرموقين وشراء الحاجيات وإجراء الرحلات التعليمية الترفيهية؟

الحقيقة هي أن المدارس الحكومية تسبح في الأموال. واحتجاجات المدرسين حول إنفاق النقود على الحرب أكثر من المدارس خاطئة. في عام 2004 أنفقت أمريكا 454 بليون دولار على الالتزامات الحربية (بما فيها حرب العراق) و536 بليون دولار على المدارس الحكومية. ما «نعرفه» ليس صحيحاً.

تنفق أمريكا على المدارس أكثر مما تنفقه معظم البلاد التي بذتنا في الامتحانات العالمية.

لكن البيروقراطيين مازالوا يعزون فشل المدارس إلى قلة الموارد المالية ويطالبون بأموال أكثر. في عام 1985 قال قاضي مدينة كانساس ويدعى رسل كلارك إن المدارس التي تحوي على نسبة عالية من السود «ليست لائقة» وأمر الحكومة أن تنفق بلايين أكثر عليها. ففعلت.

قاموا بتجديد مباني المدارس وإضافة صالات رياضية ضخمة ومسبح بحجم المسابح الأولمبية، ومخبر للروبوتات واستوديوهات للتلفاز وحديقة حيوان ومرصد للفضاء ومنتجع للحياة البرية وأضافوا أيضاً تعليماً مكثفاً للغات الأجنبية لقد أنفقوا الكثير من النقود حتى أنهم عندما قرروا ضم عدد أكبر من الأولاد البيض إلى مدارس المدينة لم ينقلوهم بالباصات بل دفعوا لـ 120 تاكسي. (سيارة أجرة)

وانهالت التقارير حول تلك التعديلات.

مراسل تلفاز مدينة كنساس: أي طالب يريد أن يتعلم اللغة الفرنسية مثلاً يستطيع أن يتسجل في برنامج شامل تُعلم فيه كل الدروس باللغة الفرنسية.

طالب: ياإلهي!

ماذا كانت نتيجة إنفاق بلايين الدولارات؟ لا شيء. بل في الواقع تراجع مستوى المدارس في عام 1999 وبعد إنفاق بليوني دولار. فشلت مدارس مدينة كنساس في أحد عشر اختباراً معيارياً وفقدت رخصتها لأول مرة في تاريخ تلك المدارس.

يشير جاي غرين إلى أن العديد من المدارس زادت من نفقاتها دون نتيجة «لقد ضاعفنا في الثلاثين سنة الأخيرة ما ينفق على كل طالب وذلك وفقاً للتضخم لكن المدارس لم تتحسن».

هذا خط بياني يوضح زيادة الإنفاق (معدلة حسب التضخم):

الإنفاق على كل طالب.

الانفاق على كل طالب

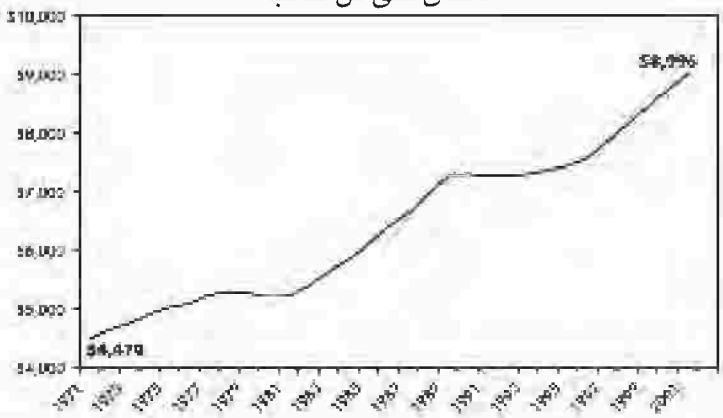

إنجازات الطالب ومعدلات التخرج

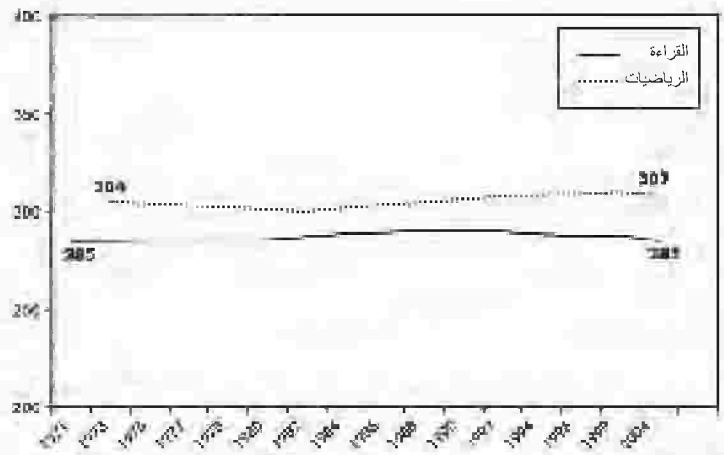

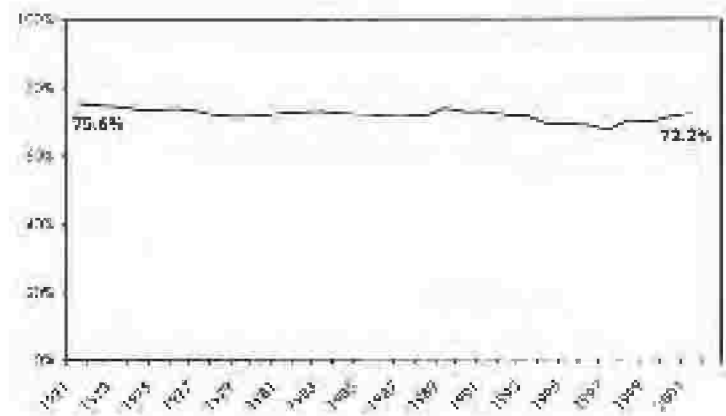

وهذا خط بياني يوضح إنجازات الطلاب ومعدلات التخرج

خط الإنفاق يسير نحو الأعلى لكن خطوط الإنجازات ومعدلات التخرج بقيت مستوية. فشلت مضاعفة الإنفاق في تحسين المدارس.

«الكل درس الأمر بدقة ـ تستطيع أن تعطي المدارس الحكومية كل أموال أمريكا لكنها لن تكون كافية» هذا ما قاله بن تشافيز وهو مدير مدرسة سابق واليوم يدير مدرسة American Indian Public charter في أوكلاند. تنفق مدرسته آلافاً أقل مما تنفقه المدارس الحكومية في أوكلاند.

يوفر تشافيز النقود بجعله الطلاب يساعدون في تنظيف الأرض وتقديم الغذاء. «ليس لدينا حاجب بدوام كامل» قال لي «ليس لدينا حارس أمان وليس لدينا حواسيب وليس لدينا موظفون في مقصف المدرسة».

الطلاب الذين لا يستطيعون شراء وجبة الغداء يحصلون على علب طعام في مطعم محلي مقابل عملهم في عطلة نهاية الأسبوع.

ليسن هناك صالة رياضة. ومن أجل اللياقة البدنية يحرك الطلاب الطاولات في المقصف أو يركضون حول المدرسة. تجبر المنافسة تشافيز على التجديد.

تشافيز: اعتبر مدرستي عملاً تجارياً يقاسمني به الطلاب إذ لهم حصة فيه وكذلك لأهاليهم حصة. يجب علي أن أؤمّن لهم أشياء معينة.

ستوسل: لقد غيرت المعايير بإنفاقك قدراً من النقود.

تشافيز: الأمر لا يتعلق بالنقود.

ستوسل: ماذا عن الأولاد الذين يأتون من عائلات مفككة أو فقيرة؟

تشافيز: الأولاد الفقراء هم الأسهل تحفيزاً. أعطني أولاداً فقراء وسأجعل أداءهم يفوق الأولاد الأغنياء الذين يعيشون في المناطق المرفهة.

ستوسل: ماذا لو رفض الولد القيام بالعمل؟

تشافيز: سأحرجه [أمام] الأولاد الآخرين وأقول أتريد أن تكبر لتصبح مثل ذلك المتسول الذي يعيش في الطرقات؟ سآخذه إلى الطريق وأريه المتسولين وأسأله أتريد أن تصبح مثل هذا؟

منذ أن تولى تشافيز الإدارة قبل أربع سنوات أصبحت مدرسته أفضل مدرسة في أوكلاند بعد أن كانت الأسوأ.

هناك العديد من المدارس الحيوية التي تنتشر في كل أرجاء أمريكا والتي تنفق القليل لكنها تبذ في أدائها المدارس الحكومية. في رسل فيل بولاية جنوب كاليفورنيا صورنا طلاباً في مدرسة تيرزا ميدليتون يقفزون من مقاعدهم للإجابة عن الأسئلة في «لعبة الرياضيات» ـ يصرخون الإجابات بحماس.

تجعل ميدلتون التعلم متعة. ما إن تدخل الصف حتى يسألها الطلاب «هل نستطيع أن نلعب تلك اللعبة اليوم؟ هل نقوم بالحساب؟ هل نلعب البينغو؟ هل نلعب أحرف الهجاء في مختلف أنحاء العالم؟».

بنت ميدلتون مدرستها عام 1996 بعد أن رأت الطلاب يفشلون في المدارس الحكومية. لقد أثارت حفيظتها قلة كفاءة تلك المدارس. الآن عندما ينتقل الطلاب من مدرستها إلى مدرسة حكومية يقول أهاليهم إنهم يبذون أقرانهم بكثير.

تأخذ ميدلتون من الأهالي مبلغ 3000 دولار عن كل طفل وهذا أقل من نصف الـ 8000 دولاراً التي تصرفها الحكومة في المدارس الحكومية المجاورة. ولكن رغم هذا المقدار الأقل من المال فإن أداء طلابها أفضل. قالت لنا ميدلتون «كان عندي طلاب في الثالثة من العمر يهجئون الكلمات وكان لدي طالب شُخِّص أنه طفل متوحد لكننا استطعنا تعليمه العد بالخمسات» يرغب زبائنها (الأهالي) في دفع 3000 دولاراً على الرغم من أنهم يدفعون للمدارس الحكومية قسماً من ضرائب الملكية وذلك لأنهم يريدون ذلك الأداء المتفوق من المدرسة. قال لنا أحد الآباء «يستحق ذلك الجهد الإضافي والنقود الإضافية لأن ذلك كما أدعوه كسب لنقودنا».

أحد حجج البيروقراطيين المفضلة هي «أننا نحتاج إلى نقود أكثر كي يصبح حجم الصفوف أصغر» لكن نسبة عدد الأساتذة إلى عدد الطلاب قد قلت إذ بلغت 24.7 طالباً للأستاذ الواحد في عام 1965 ثم أصبحت 15.9 طالباً للأستاذ في عام 2002. من المنطقي الاعتقاد أن زيادة عدد الأساتذة سيحسن النتائج لكن تطبيق ذلك في المدارس الحكومية لم يحسن أداء الطلاب.

خرافة: يحتاج الأساتذة إلى رخصة تدريس كي يدرسوا بصورة جيدة.
حقيقة: لا لا يحتاجون.

في جميع أرجاء أمريكة تتفوق المدارس الكاثوليكية بالأداء على المدارس الحكومية رغم أنها تنفق أقل من نصف ما تنفقه المدارس الحكومية لقد واجهت مديرة مدرسة في مدينة نيويورك بذلك.

ستوسل: إن راتب الأستاذ المتوسط في مدرستكم أعلى من راتب أفضل أستاذ في المدارس الكاثوليكية لكنهم يتفوقون عليكم.
ثيلما باكستر: إنهم يقومون بعملهم بشكل جيد لأنهم يرغبون في البقاء في ذلك العمل. ولكن أرجوك أفهم أن العديد منهم ليسوا مؤهلين للتدريس. فبعضهم يدرس دون شهادة جامعية وبعضهم يدرس دون إجازة ماجستر.

ياللعيب. لكن انظروا إلى النتيجة! أداء المدارس الكاثوليكية أفضل. ربما لا يحتاج الأساتذة إلى شهادة ماجستر أو شهادة جامعية من كلية التربية.

وبالإضافة إلى ذلك لاحظوا ما قالته باكستر «إنهم يقومون بعملهم بشكل جيد لأنهم يرغبون في البقاء في ذلك العمل» يالهذه الإدانة للمدارس الحكومية! ليس أمام أساتذة وطلاب باكستر إلا خيارات قليلة وعلى ما يبدو «لا يريدون البقاء في ذلك العمل». أما المدرسون قليلو الرواتب قليلو الكفاءة في المدارس الكاثوليكية فيرغبون في البقاء في عملهم.

خرافة: تتفوق المدارس الكاثوليكية لأنها تطرد الأولاد المشاغبين.
حقيقة: تعلم المدارس الكاثوليكية الأطفال المشاغبين.

يجادل العاملون في المدارس الحكومية أن المدارس الكاثوليكية تتفوق رغم ميزانيتها القليلة لأنها تستطيع انتقاء الطلاب أما المدارس الحكومية فعليها أن تفتح أبوابها للجميع.

ثيلما باكستر: تستطيع المدارس الكاثوليكية أن تختار من ينضم إليها.

ستوسل: أبإمكانهم طرد المشاغبين؟

ثيلما باكستر: هذا صحيح.

ستوسل: أيطردون العديد منهم؟

ثيلما باكستر: نعم.

في الواقع، بإمكانهم فعل ذلك لكنهم قلّما يفعلون. لقد قابلت المونسنيور ولاس هاريس الذي يدير مدرسة في حي فقير في مدينة نيويورك ليس بعيداً عن مدرسة ثيلما باكستر الحكومية. بدت مدرسته مختلفة جداً. كانت منظمة رغم أن حجم الصفوف كان كبيراً (ستة وثلاثين طالباً) كان الأولاد يراقبون باهتمام.

ستوسل: كيف تستطيع أن تدرس ستة وثلاثين طالباً في الصف؟ هذا عدد كبير.

مونسنيور ولاس هاريس: نحن نتدبر أمرنا.

ستوسل: [يقولون] إنك تستطيع طرد المشاغبين.

مونسنيور ولاس هاريس: كلا. لا أستطيع فعل ذلك ولن أفعل ذلك.. إن طلب إلى واحد أو اثنين من الطلاب من أصل خمس مئة الرحيل عن المدرسة لأسباب تأديبية فإن ذلك أمر غير عادي.

ستوسل: إذاً ماذا تفعل بالأولاد المشاغبين؟

مونسنيور والاس هاريس: نبدأ بالتحدث مع الأهل فوراً.

هذا هو الفرق. يطرد عدد قليل من الأولاد لكن الأهالي والأولاد يعلمون أن ذلك ممكن الحدوث فيغيرون في تصرفاتهم. تعلم المدارس الكاثوليكية العديد من الأولاد «الصعبين».

تملك مدارس مدينة نيويورك الحكومية ثمانية آلاف موظف إداري.

هكذا تهدر النقود التي تدفعها للضرائب. أما في إدارة المدارس الكاثوليكية فهناك ثلاثون موظفاً فقط. في مدرسة هاريس المسؤول هو والاس هاريس وهو الذي يقع على عاتقه إقناع الأهالي أن مدرسته هي الأفضل لأولادهم.

ستوسل: أأنت من يتخذ القرارات؟

مونسنيور والاس هاريس: نعم.

ستوسل: أي لا يجب عليك أن تتصل برئيس مجلس المدرسة وتستأذنه؟

مونسنيور والاس هاريس: كلا. يتوقعون مني أن أحل المشكلات فوراً.

ستوسل: وماذا إن لم تقم بذلك؟

مونسنيور والاس هاريس: أتحمل مسؤولية ذلك وحدي.

احتمال الإخفاق هذا هو السبب في أن المدارس الكاثوليكية تتفوق في كل المدن بالرغم من ميزانيتها القليلة. في مدينة نيويورك تخدم المدارس الكاثوليكية نفس الجالية الفقيرة التي تخدمها المدارس الحكومية لكن معدل التخرج بعد أربع سنوات في المدارس الكاثوليكية هو 99 بالمئة مقابل 54 بالمئة في المدارس الحكومية.

خرافة: يتحرى المسؤولون في المدارس الحكومية طرقاً جديدة لمساعدة الأولاد.

حقيقة: يقاوم المسؤولون في المدارس الحكومية أي تغير.

المربون الضليعون العاملون في المدارس الحكومية يدعون الانفتاح على محاولات التجدد والتجارب التربوية. إنهم يعارضون منافسة المدارس الخاصة لكنهم يقولون إنهم يدعمون مدارس تشارتر[1].التي توافق عليها الحكومة. هذا ما يقولون. ولكن حاول أن تفتح مدرسة تشارتر.

يقول لنا المدرسون إن محاولة فتح إحدى المدارس تماثل ضرب الرأس في الحائط.

«كانت قصة مرعبة» قالت لنا نانسي غريغوري مديرة مدرسة تشارتر في ولاية جنوب كاليفورنيا «كل ذلك القيل والقال الذي وضعوه أمامنا عوضاً عن أن يقولوا لنا ماذا بوسعنا أن نفعل لمساعدتكم؟ هذه لائحة بالأشياء التي لا يجب أن تفعلوها... [إن بيروقراطيي التعليم] يشعرون بالتهديد. من قبل خيار مدارس التشارتر إذ يخشون فقدان سلطتهم».

(1) مدارس تشارتر Charter: مدارس حكومية مستقلة لها منهاج مختلف وفلسفة تربوية خاصة.

واظبت نانسي ونجحت في إنشاء مدرسة تشارتر لكنها قالت إنها تحملت المخاطر لأنها كانت تعلم أن الخطوة الآتية في حياتها المهنية هي التقاعد. «أنت تعلم أنك ميت ـ ميت لا محالة في مهنتك عندما تقوم بهذه المبادرات».

في منطقة لي في ولاية جنوب كاليفورنيا حيث فشلت المدارس السيئة في تعليم دوريان القراءة، حاولت مجموعة من الأهالي لمدة سنوات إنشاء مدرسة تشارتر لكن مجلس المدرسة حاربهم في كل خطوة. ملأ البيروقراطيون ملفات اعتراض وأوصلوها حتى إلى المحكمة العليا.

ستوسل: لم لَمْ تسهلوا الأمور عليهم.

دولوريس رايت: لم نصعب الأمور عليهم.

ستوسل: ألم تؤجلوهم؟ لقد أوصلتم الأمور إلى المحكمة العليا.

دولوريس رايت: لم يملؤوا الأوراق في الوقت المناسب.

د. لويد هانتر: التغير دائماً صعب.

ستوسل: لم أوصلتم الأمور إلى المحكمة العليا؟

د. لويد هانتر: يحق للمدارس أن تدافع عن مصالحها.

قالت لي جيني سانفورد وهي إحدى الأمهات في جنوب كاليفورنيا «إنهم ينظرون للأمر على أنه ذهاب النقود من مدارسهم أو منطقتهم الصغيرة. الأمر كله يتعلق بالمال. لذلك يفعلون ما بوسعهم لتصعيب إنشاء مدرسة تشارتر».

ليست جيني سانفورد أية أم إنها زوجة حاكم ولاية جنوب كاليفورنيا. بعد أن انُتخب زوجها مارك سانفورد رحلوا مع أولادهم الأربع إلى مقر حكومي في كولومبيا وكان التحدي الأكبر هو اختيار مدرسة جيدة للأولاد.

أرادوا أن يرسلوهم إلى المدارس الحكومية لكن المدرسة المتوسطة (الإعدادية) بالقرب من مقرهم كان ترتيب أدائها «أقل من الوسط» وسرعان ما علمت عائلة سانفورد أن بإمكانهم إرسال الأولاد إلى أية مدرسة يشاؤون نظراً لمنصب الأب حاكماً للولاية. قالت لي السيدة سانفورد إن المشرفين على المدارس كتبوا إليها وتحدثوا إليها

بالهاتف يدعونها إلى «اختيار أفضل مدرسة وإرسال أطفالي هناك. وقلت لكن هذا ليس عدلاً لأنه يجب علي التقيد بمنطقة المدرسة، فقالوا أنت زوجة حاكم الولاية فانسِ وجود القوانين».

هكذا تسير الأمور. تعطى الميزات لأصحاب المناصب. لم تعتقد عائلة سانفورد أن ذلك عدل وأنهم يجب أن يستغلوا تلك الحالة فجمعوا مدخراتهم وأرسلوا الأولاد إلى مدارس خاصة. ثم اقترح حاكم الولاية خطة تسهل لكل الأولاد في جنوب كاليفورنيا الالتحاق بمدارس لائقة. دعى خطته «الأهالي المسؤولون».

إذ سمحت تلك الخطة للأهالي باختيار أية مدرسة يريدون وإذا ما أرادوا نقل أولادهم من مدرسة حكومية إلى مدرسة خاصة فإنهم يحصلون على مبلغ من نقود الضرائب يساعدهم في دفع القسط.

قال إن حرية الأهالي في الاختيار تعزز المنافسة بين المدارس.

حاكم الولاية سنافورد: يطالب الناس بحرية الاختيار في كل جوانب الحياة. لا أحد يتقبل فكرة أن يكون هناك نوع واحد من فراشي الأسنان. نحن نتفوق ونسعى إلى الأفضل دائماً بسبب المنافسة.

ستوسل: بعض الأشخاص يقولون إن الأولاد أهم من أن يتركوا لرحمة السوق والمنافسة إذ قد يقعون ضحايا الأخطاء.

حاكم ولاية سانفورد: إنهم واقعون ضحايا الأخطاء الآن.

إنه محق في ذلك. في ولاية جنوب كاليفورنيا لا يتخرج نصف الأولاد بعد أربع سنوات في الثانوية. ولكن كيف ارتكست المؤسسات التعليمية على خطة حاكم الولاية؟ اعترضت مجالس المدارس. واعترضت اتحادات الأساتذة. وأرسلت مع الأولاد رسائل إلى الأهالي تقول «اتصلوا بالمسؤولين في منطقتكم. كيف يمكننا إنفاق النقود على شيء لم تثبت صحته؟».

رفضت اللجان التشريعية في الولاية خطة اختيار المدارس بنسبة بلغت ستين إلى ثلاثة وخمسين. إنه «نصر عظيم» للتعليم كما قالت المشرفة على المدارس في الولاية أينر تيننبوم Tenen baum.

أينر تيننبوم: لقد كانت خطة غير متعبة وباهظة التكاليف وغير مسؤولة.

ستوسل: غير مثبتة لأن السياسيين والاتحادات لا يدعون أي شخص يجربها. لم لا تتركون آلاف أنواع الأزهار تتفتح؟

أينر تيننبوم: إنك تتصرف كما لو كانت تلك الأزهار ستتفتح فعلاً ليس لديك أية فكرة عما سينتجه القطاع الخاص.

ستوسل: هذا ما هو جميل في الأمر. ينتج القطاع الخاص أكثر مما نحلم به أنا وأنت لأنه يفتح المجال أمام ملايين العقول لتبدع.

أينر تيننبوم: أنا لا أؤمن بذلك.

قالت تيننبوم: إنه لا حاجة إلى خطة «غير مثبتة» لأن مدارسها تتحسن باستمرار.

أينر تيننبوم: يجب علينا أن نحافظ على وضعنا الحالي. كل الدلائل تشير إلى أن مدارس ولاية جنوب كاليفورنيا ليست الأخيرة بل أدرجنا في قائمة المدارس التي تملك أعلى معايير في التعليم في كل أمريكا.

ستوسل: لكن الأولاد لا يصلون إلى تلك المعايير كانت مرتبتكم هي الأخيرة في امتحانات SAT.

أينر تينابوم: لا يجب أن يكون امتحان SAT معياراً لتقويم أية مدرسة في أية ولاية.

ستوسل: أليس الأهالي قضاة أفضل في الحكم من فحوصكم. يقول الأهالي «أنا أكره هذه المدرسة وأريد تسجيل ولدي في مدرسة [أخرى]»؟

أبنر تيننبوم: يستطيع الأهالي ترك المدرسة واختيار أي مدرسة أخرى حكومية.

ستوسل: أي خيار بين مدرسة حكومية سيئة ومدرسة حكومية سيئة!

لم لا تعطونهم خيارات أكثر لم لا تجعلوهم يأخذون نصف الأموال التي تنفقونها ويجربون المدارس الخاصة البديلة؟

أينر تينابوم: لأنه لا توجد في المدارس الخاصة المسؤولية التي توجد في المدارس الحكومية.

المسؤولية؟ رئيسة احتكار حكومي لها الجرأة على الكلام على المسؤولية.

المسؤولية هي التي تجعل المدارس الخاصة تتفوق في أدائها. في كل يوم تحاسب على أدائها من قبل الأهالي وعندما يفشل المسؤولون على المدرسة ويفشل التلاميذ

فإن هؤلاء المسؤولين يفقدون عملهم أما المدارس الحكومية فهي مسؤولة فقط أمام السياسيين. هذا هو السبب في أنه مامن مدرسة حكومية أغلقت أبوابها أبداً مهما بلغت رداءتها. ولا أحد يفقد عمله عندما يفشل التلاميذ. ليس خبراً جديداً أن الاحتكارات الحكومية تقوم بعملها بشكل رديء. فانهيار الاتحاد السوفيتي ليس سراً. لم نعتقد أن الاحتكار سينجح في المدارس؟

خرافة: يكافأ امتياز الأساتذة.
حقيقة: الضعف هو الذي يكافأ.

الشيء الوحيد الأسوأ من الاحتكار الحكومي هو الاحتكار الحكومي المنظم في اتحادات متصلبة في المدن الأمريكية، يعلق معظم أطفال المدارس في تلك الهيئات.

قال لنا أحد التلاميذ في ثانوية في نيويورك إن الأساتذة في مدرسته لا يبذلون جهودهم. «أنا أقف اليوم في الحصة السادسة خارج صفي لأنني لا أعلم أين أستاذي» قال أحد التلاميذ وأضاف قائلاً «قال لي أحد أساتذتي إنه يدرس فقط من أجل الحصول على التأمين الصحي».

يبدو هذا غريباً لأن الأساتذة الذين أعرفهم يريدون مساعدة الطلاب على التعلم. وبعضهم متحمسون جداً لمواضيع التعليم ويأخذون دروساً إضافية ليتعلموا كيف يصبحون أساتذة أفضل. وبعضهم يدفعون من أموالهم الخاصة ليتعرفوا على أحدث تقنيات التعليم.

ولكن المرة تلو الأخرى كان الأولاد يقولون لنا «لدينا أساتذة يقولون أنا لا أهتم بعملي إذ أحصل على راتبي على كل حال». يجب ألا أفاجأ بذلك. فعندما تدفع للجميع الراتب نفسه وتضمن لهم الاستمرار في وظائفهم ينعدم الحافز لديهم لرفع جهودهم.

لقد تحدثت إلى مجموعة من طلاب الثانوية من مدارس مدينة نيويورك.

ستوسل: أهناك أساتذة يمقتهم الطلاب؟

مجموعة الطلاب: [بصوت واحد] نعم!

باتريسيا ستوارت: إنهم يتحدثون كما لو كانوا أمواتاً ويجعلونك ترغب في النوم. وعندما تنام يغضبون. لكنك لا تستطيع أن تقاوم النوم لأنهم يتحدثون كما لو أن أحدهم أجبرهم على أن يكونوا هنا.

عندما يفقدون حماستهم نفقد نحن حماستنا.

بعض الأساتذة يبعثون الملل وبعضهم الآخر ليسوا أذكياء.

في عام 1999 ايتكرتُ امتحاناً غير رسمي للأساتذة. من هم الأساتذة الأكثر ذكاءً؟ حاول أفراد طاقم قناة ABC إعطاء الامتحان للأساتذة في العشرات من المدن. لكن في المدينة تلو الأخرى رفض الأساتذة إجراء الامتحان. لقد أجريت مقابلة مع مجموعة من الأساتذة في مدينة نيويورك من الذين رفضوا إجراء امتحان. كانوا قد رفعوا دعوى على ولاية نيويورك التي تجرأت واستعملت امتحاناً يدعى امتحان الأساتذة الوطني National teacher examination NTE لتحديد بشكل تقريبي، إعطاء الفوائد وكمية الراتب. رسب بعض أولئك الأساتذة بفحص NTE مراراً.

امرأة أولى: لقد أجريت فحص NTE عشرين مرة أو أكثر.

رجل أول: لقد أجريته مرات عديدة. لم أواصل العد.

ستوسل: عادة إذا أجريت فحصاً ورسبت فإنك تدرس كي تنجح في المرة القادمة.

رجل ثان: لا يوجد شيء ندرسه.

امرأة ثانية: ليس من حاجة لامتحاني.

ستوسل: لكنكم تمتحنون الأولاد فلم لا يجب أن نمتحنكم؟

امرأة ثالثة: ليس من العدل أن يمتحنني أشخاص من الخارج، كل يوم أمضيه في الصف هو بمثابة امتحان لي.

لقد ادعوا في دعواهم القضائية أن الامتحان امتحان عنصري لأن معظم من رسبوا فيه هم أفراد من الأقليات.

مارك بيسني أستاذ الدراسات الاجتماعية: الآن سأعطيك مثالاً على سؤال شائع. لنر إن كنت تستطيع الإجابة. ماهو رونق ذلك الجدار؟

ستوسل: رونق؟ أتعني لون ذلك الجدار؟

مارك بيسني: أنا سألتك هذا السؤال.

ستوسل: بيج.

مارك بيسني: حسناً. أنت محظوظ، حسب فهمك تعني كلمة رونق هنا لون الأشخاص الذين يأتون من بيئات فقيرة قد لا يملكون مفردات غنية مثل الأشخاص الذين يكتبون هذه الامتحانات.

هل كلمة رونق كلمة صعبة للفهم على أستاذ؟ شكى إلي جويل كلاين مستشار المدارس الحكومية في نيويورك «نحن نتحمل الضعف لأن رواتب الأشخاص متساوية سواء أكانوا بارعين أو متوسطين أو دون الوسط»

المدارس التي يديرها كلاين هي أكبر احتكار حكومي بعد الصين. برز اسم كلاين في العناوين الرئيسية وذلك عندما جعل وزارة العدل في زمن كلنتون تهاجم شركة ميكرو سوفت بسبب ما دعاه «احتكار لبرامج الحاسوب» لكن ميكرو سوفت لا تقضي على المنافسة كما تفعل منظمة كلاين الجديدة، احتكار صلب التنظيم حتى أن الأساتذة الخطيرين لا يطردون منهم.

ستوسل: ألا تستطيع طردهم.

جويل كلاين: هذا تقريباً مستحيل.

هذا تقريباً مستحيل بسبب الخطوات المعقدة التي يجب أن يتخذها المدير ليطرد أستاذاً سيئاً.

انظر الصفحة 175 - 178 خريطة توضح هذه الخطوات.

كانت تلك القوانين تقصد خيراً ـ تحقيق العدالة بين الأساتذة. خشي اتحاد الأساتذة من أن يفضل المديرون تعيين أصدقائهم وأقاربهم ويطردوا الأساتذة الجيدين.

لو ترك التعليم الحكومي للمنافسة في السوق الحرة لكانت تلك القوانين البيروقراطية غير ضرورية لأن الأهالي سيعرفون المديرين السيئين فيرسلون أولادهم إلى مدارس أخرى في العام المقبل. يجب أن تُغلق المدارس الرديئة. لكن المدارس الحكومية لا تغلق أبداً لذا كان من الضروري سن قوانين مستحيلة صارمة تشل إغلاق المدارس.

جويل كلاين: لدينا نظام لا يمكن فيه التميز بين الأشخاص ونتيجة لذلك نحن لا نكافئ الامتياز.

ستوسل: لم لا تكافئون الامتياز.

جويل كلاين: لأن ذلك ممنوع في العقد.

العقد هو 205 صفحات من قوانين العمل. تخلق احتكارات الاتحاد وثائق مثل هذه. تمنع القوانين دفع نقودٍ أكثر للأساتذة الممتازين، وتجعل طرد الأساتذة شبه مستحيل حتى طرد الأستاذ الذي يبعث برسائل إلكترونية جنسية إلى طالبه البالغ ستة عشر تماماً.

جويل كلاين: هذه أكثر القصص غرابة بالنسبة لي لأن البريد الإلكتروني موجود وكان مهيناً تماماً.

ستوسل: واعترف هو بذلك.

جويل كلاين: كان البريد الإلكتروني عندنا.

ستوسل: إذاً على ما أعتقد وجب فصل الأستاذ.

جويل كلاين: لا يمكننا طرده.. لقد دفعنا له راتبه.

لم يكن يدّرس لكن كان علينا دفع راتبه لأن هذا ماينص عليه العقد.

لقد دفعوا له ما يزيد على 350.000$. وبعد ست سنوات فقط من التشريعات المكلفة تمكنوا من طرده، ومازال كلاين يدفع للمئات من الأساتذة غير الأكفاء والعنيفين والمدانين بالتحرش الجنسي.

عند الخوف من عمل أولئك الأساتذة بالتدريس، فإنهم يضعونهم في «غرف مطاطية». ولا تدعى بذلك لأنها مصنوعة من المطاط ـ إنها غرف حيث يسكّنون الأساتذة الذين يخشون اقترابهم من الأولاد.

يقرأ الأساتذة في الغرف المطاطية المجلات ويلعبون بورق الشدة ويتحدثون فيما بينهم. وأثناء إضاعتهم للوقت. يقبضون رواتبهم على حساب دافعي الضرائب في نيويورك والتي تبلغ عشرين مليون دولار في السنة.

ومع أن القوانين التي تجعل طرد الأساتذة مستحيلاً تبدو قوانين جنونية إلا أن اتحادات الأساتذة تدافع عنها. ولدى هذه الاتحادات سلطة خارقة تفرض التشريعات التي تدعم العمال، على الأساتذة دفعة تعرفة ـ حتى لو لم يوافقوا على مبادئ الاتحاد. هذا يخلق سلاحاً سياسياً يهمله السياسيون عند تعرضهم للخطر.

في نيويورك أظهرت راندي واينغارتن رئيسة اتحاد الأساتذة تلك القوة السياسية في عام 2005 عندما جعلت أكثر من 20.000 أستاذ يحتشدون في مظاهرة في حديقة ساحة ماديسون. كان علي أن أضع سدادات الأذن لأتحمل تلك الضوضاء إذ كان الأساتذة يغنون ويصرخون بالشتائم على كل من يعترض (خطتهم) عشرون ألف شخص يريدون التظاهر والصراخ لا عجب أن السياسيين يرتعدون.

بعد المظاهرة دافعت واينغارتن عن قوانين العمل عندما ناقشتها فيها. دافعت حتى عن القانون الذي يقضي بألا يسمح لأي أستاذ بمساعدة طفل معاق على الخروج من الحافلة.

ستوسل: أليس للأساتذة واجبات في المقصف أو في قاعات الدراسة؟

راندي واينغارتن: للأساتذة واجبات مهنية!

ستوسل: يستطيع أعضاء الهيئة التدريسية التقاعد في سن 55 دون غرامة.

راندي واينغارتن: نعم.

ستوسل: يعمل جميع الأساتذة «مدة عمل في المدرسة تبلغ ست ساعات وأربعين دقيقة في اليوم».

راندي واينغارتن: وذلك ما يحصل عادة في القطاع الخاص.

يعمل الناس مدة عمل في المدرسة تبلغ ست ساعات وأربعين دقيقة في اليوم؟ إن الأشخاص المغرورين يعملون في الاحتكارات الاتحادية يفقدون صلتهم مع الواقع. بعد مقابلتي مع واينغارتن قررت هي والمستشار كلاين اعتماد عقود جديدة تعطي الأساتذة زيادة في الرواتب بمقدار 15 بالمئة. لقد وافقت على تغير بعض القوانين الغبية مثل «عدم وجود واجبات في قاعات الدراسة» لكن القوانين الأخرى بقيت على حالها والمخطط المعقد (ص 175 - 178) الذي يوضح خطوات طرد أستاذ تم إحداثه في العقود الجديدة التي (سهّلت) العملية.

لكن الأساتذة قاموا بتغير جم إذ وافقوا على العمل عَشْر دقائق أكثر في اليوم.

كيف أفضل أستاذاً غير كفء

أنت مدير مدرسة حكومية في مدينة نيويورك. مهمتك فصل أستاذ سيئ لدرجة أن لا أحد من الأساتذة أو الطلاب أو الأهالي يعترض على فصله

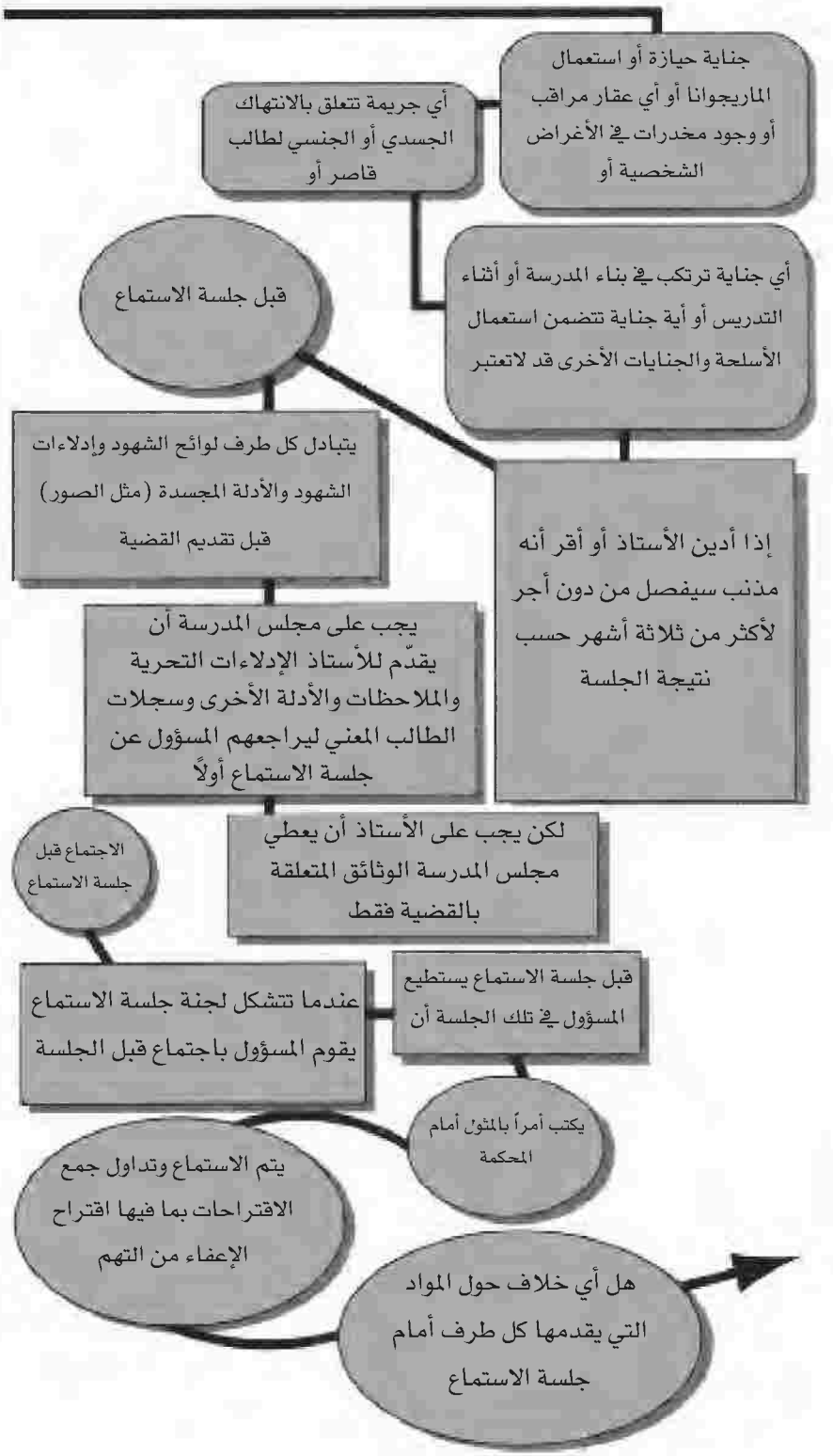
جناية حيازة أو استعمال الماريجوانا أو أي عقار مراقب أو وجود مخدرات في الأغراض الشخصية أو
أي جريمة تتعلق بالانتهاك الجسدي أو الجنسي لطالب قاصر أو
أي جناية ترتكب في بناء المدرسة أو أثناء التدريس أو أية جناية تتضمن استعمال الأسلحة والجنايات الأخرى قد لاتعتبر
قبل جلسة الاستماع
يتبادل كل طرف لوائح الشهود وإدلاءات الشهود والأدلة المجسدة (مثل الصور) قبل تقديم القضية
إذا أدين الأستاذ أو أقر أنه مذنب سيفصل من دون أجر لأكثر من ثلاثة أشهر حسب نتيجة الجلسة
يجب على مجلس المدرسة أن يقدّم للأستاذ الإدلاءات التحرية والملاحظات والأدلة الأخرى وسجلات الطالب المعني ليراجعهم المسؤول عن جلسة الاستماع أولاً
لكن يجب على الأستاذ أن يعطي مجلس المدرسة الوثائق المتعلقة بالقضية فقط
الاجتماع قبل جلسة الاستماع
عندما تتشكل لجنة جلسة الاستماع يقوم المسؤول باجتماع قبل الجلسة
قبل جلسة الاستماع يستطيع المسؤول في تلك الجلسة أن
يكتب أمراً بالمثول أمام المحكمة
يتم الاستماع وتداول جمع الاقتراحات بما فيها اقتراح الإعفاء من التهم
هل أي خلاف حول المواد التي يقدمها كل طرف أمام جلسة الاستماع

لحماية الأستاذ في الفصل غير العادل أو الاعتباطي أمامه عدة خيارات للاستئناف
الخيار 1
الخيار 2
الخيار 3
طلب استئناف من مفوض هيئة التعليم في الولاية
في الواقع تؤمن قوانين الولاية لأي شخص يعد نفسه مظلوماً من سلطات المدرسة تؤمن إمكانية رفع دعوى للمفوض من أجل الاستئناف
لدى المظلوم 30 يوما بعد الواقعة لرفع دعوى الاستئناف
تقول وزارة التعليم «نحن نحاول البت في قرار خلال ستة إلى ثمانية أشهر (أي ثمانية إلى عشرة أشهر بعد ملء طلب التظلم) لكن تملأ العديد من طلبات الاستئناف لحالات معقدة مما يجعل تحديد موعد معين أمراً مستحيلاً
إذاً الأستاذ غير الكفء سيعمل لمدة أطول ولكن على الأقل يعطي المفوض «اهتماماً كبيراً للقرار الذي يتخذه المسؤولون المحليون» ولن يغير حكمهم إلا إن لم يجد أسس عقلانية ومنطقية لذلك الفعل.
مقتنع؟ هذه هي بعض القرارات الفعلية
يقرر المفوض أنه يجب فصل الأستاذة لسنة بدلاً من طردها لأنه رغم غيابها المتكرر عن الدروس الذي كان له أثراً على الطلاب. لا يوجد دليل على تمارضها ويشير السجل إلى أنها حاولت إلى حد ما أن تخفف من غيابها وأن تؤمن أساتذة مساعدين ليحلوا محلها» (194) قرار رقم 13278
لم يوافق على أنها رخصة أستاذ مجرّب للمعوقين لأن المجلس لم يلتزم بالنشرة التي أقرها المستشار حول تثبيت وتجريب الأساتذة. تقول النشرة أنه قبل إنهاء رخصة أستاذ المعوقين يجب إحالتها إلى «التقويم والحقوق الأساسية من قبل قسم تعليم المعاقين ولجنة خدمات التلاميذ» (1981)
يجد المفوض أن تقويم أداء الأستاذ بأنه غير مرضٍ أمر عادل هذا التقويم تم دعمه من قبل لجنة التزمت بقوانين الإجراءات المدنية
عودة إلى الربع الأول
رفع دعوى في محكمة الولاية للطعن بقرار المستشار
إلى قاعة المحكمة
لمراجعة ما حدث. لم يطرد الأستاذ غير الكفء حتى الآن. لقد نجحت بوضع ملاحظات في ملفه وتقويم بسوء أدائه يمكنك الآن أن تستمر بجلسة الفصل تحت قانون التعليم رقم S. 3020
لا ترفع دعوى الاستئناف
حتى ولو لم يرفع الأستاذ دعوى للاستئناف لا يمكن طرده في هذه المرحلة الطرد لا يمكن أن يحدث إلا بعد استماع تحت قانون التعليم رقم S.3020-A
سجل ما في التهم ضد الأستاذ غير الكفء لطرده
بعد كتابة التهم سيصوت المجلس التنفيذي إذا ما كانت التهم صحيحة على الأغلب
ليست صحيحة؟ احصل على وثائق إضافية. عودة إلى الخطوة 1
صحيحة على الأغلب
يجب أن يصدر مجلس المدرسة لائحة بالتهم والعقوبة القصوى المحتملة وأن يرسل مذكرة تبين حقوق الأستاذ تحت قانون استماع رسمية
خلال عشرة أيام يستطيع الأستاذ أن يطلب جلسة استماع ويختار أن يمثل أمام مسؤول واحد أو لجنة من الحكام. وفي كل حال يشرف مسؤول حكومي على الجلسة
إذا ما فصل الأستاذ نتيجة قرار الجلسة يجب أن يدفع له خلال مدة الفصل إلا إذا وجد الحكم أن هناك تهماً تتعلق بأحد الأمور التالية:

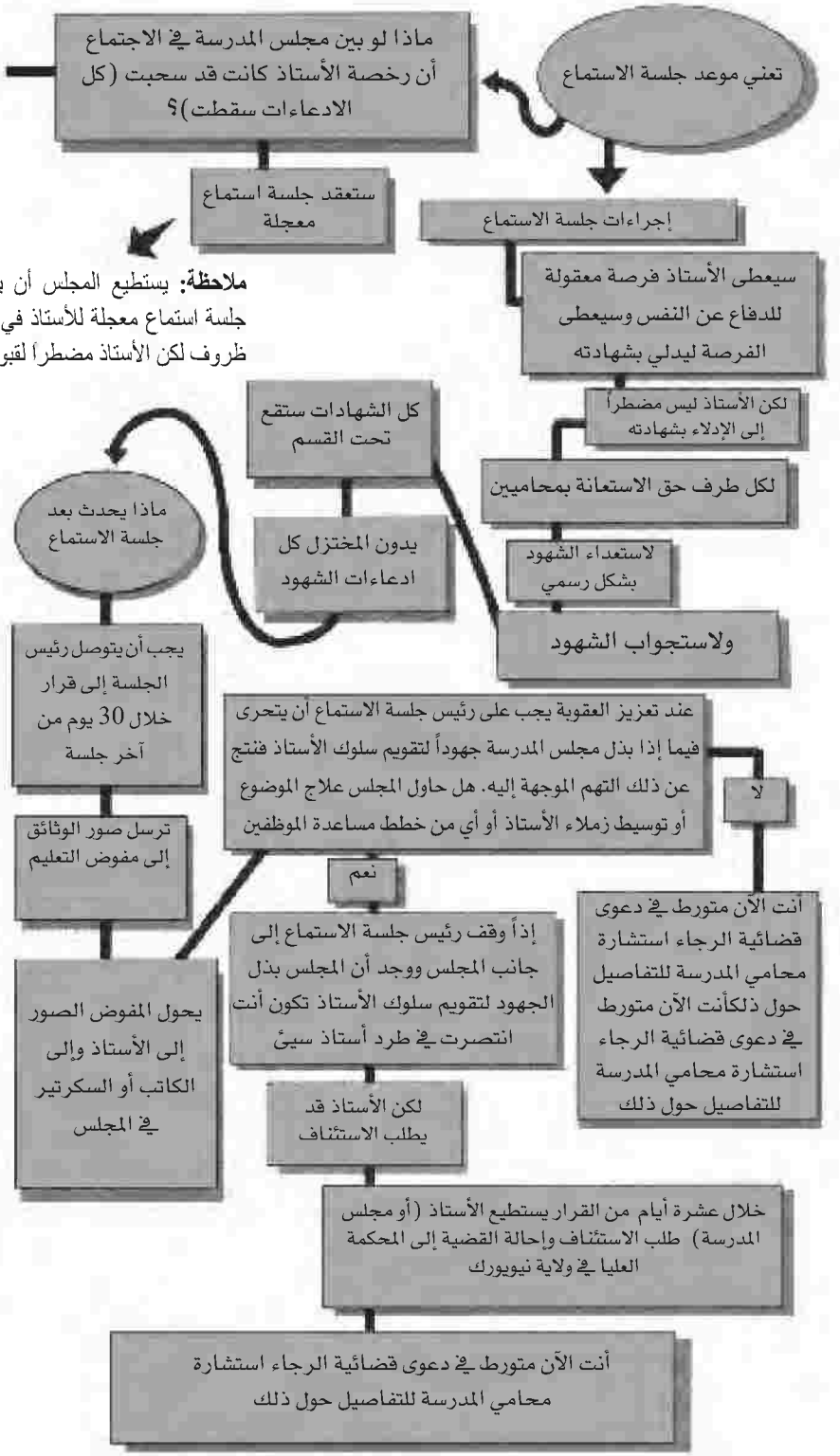
تعني موعد جلسة الاستماع
ماذا لو بين مجلس المدرسة في الاجتماع أن رخصة الأستاذ كانت قد سحبت (كل الادعاءات سقطت)؟
ستعقد جلسة استماع معجلة
ملاحظة: يستطيع المجلس أن يقدم جلسة استماع معجلة للأستاذ في أية ظروف لكن الأستاذ مضطراً لقبولها
إجراءات جلسة الاستماع
سيعطى الأستاذ فرصة معقولة للدفاع عن النفس وسيعطى الفرصة ليدلي بشهادته
لكن الأستاذ ليس مضطراً إلى الإدلاء بشهادته
لكل طرف حق الاستعانة بمحاميين
لاستدعاء الشهود بشكل رسمي
ولاستجواب الشهود
كل الشهادات ستقع تحت القسم
يدون المختزل كل ادعاءات الشهود
ماذا يحدث بعد جلسة الاستماع
يجب أن يتوصل رئيس الجلسة إلى قرار خلال 30 يوم من آخر جلسة
ترسل صور الوثائق إلى مفوض التعليم
يحول المفوض الصور إلى الأستاذ وإلى الكاتب أو السكرتير في المجلس
عند تعزيز العقوبة يجب على رئيس جلسة الاستماع أن يتحرى فيما إذا بذل مجلس المدرسة جهوداً لتقويم سلوك الأستاذ فنتج عن ذلك التهم الموجهة إليه. هل حاول المجلس علاج الموضوع أو توسيط زملاء الأستاذ أو أي من خطط مساعدة الموظفين
لا
نعم
أنت الآن متورط في دعوى قضائية الرجاء استشارة محامي المدرسة للتفاصيل حول ذلكأنت الآن متورط في دعوى قضائية الرجاء استشارة محامي المدرسة للتفاصيل حول ذلك
إذاً وقف رئيس جلسة الاستماع إلى جانب المجلس ووجد أن المجلس بذل الجهود لتقويم سلوك الأستاذ تكون أنت انتصرت في طرد أستاذ سيئ
لكن الأستاذ قد يطلب الاستئناف
خلال عشرة أيام من القرار يستطيع الأستاذ (أو مجلس المدرسة) طلب الاستئناف وإحالة القضية إلى المحكمة العليا في ولاية نيويورك
أنت الآن متورط في دعوى قضائية الرجاء استشارة محامي المدرسة للتفاصيل حول ذلك

بالطبع. يعمل الكثير من الأساتذة (الجيدين) في منازلهم لمدة أطول من الست الساعات وأربعين دقيقة في المدرسة. إذ يصححون الوظائف ويحضرون دروس اليوم التالي. لكن بعض الأساتذة قالوا لي إنهم «يخشون العمل بعد الساعة الثالثة بعد الظهر» في المدرسة لأنهم قد «يقعون في مشكلات مع الاتحاد» حيثما توجد قوانين الاتحاد يسحب أكسل عضو الجميع إلى مستوى منخفض.

وعلى عكس ذلك نجد أن مدارس تشارتر التي تحررت من قوانين الاتحادات كانت تحوي أساتذة يسعدون بتجريب الأساليب الجديدة في التدريس. في مدرسة فرندشيب وهي مدرسة تشارتر في مدينة واشنطن معظم الطلاب يأتون من أنحاء المدينة التي تكثر فيها الجرائم والمخدرات. ولكن مايثير العجب أن 90 بالمئة يتخرجون في المدرسة معظم هؤلاء الخريجين يذهبون إلى الجامعة فيكونون على الأغلب أول من يذهب إلى الجامعة في عائلاتهم.

يقول المدير مايكل كورديل إن ذلك يحدث لأنه هو وطاقمه يُسيّرون المدرسة حسب ما يعتقدون أنه الصحيح. «يمضي التعليم بسرعة ألف ميل في الساعة وهناك دائماً طرق جديدة لتعليم الأولاد. هذه مزية مدرستنا ـ نستطيع المضي قدماً بسرعة مع طلابنا» كونه مديراً لمدرسة تشارتر أعطاه الحرية في طرد الأساتذة السيئين. إن لم يقوموا بأدائهم كما يجب فإنهم يعلمون أن طردهم محتمل. وبعد السنة الأولى طرد كورديل ثلث الأساتذة. وكافأ الأساتذة الجيدين بزيادة رواتبهم وترقيتهم.

يلاحظ تلاميذ فريند شيب الفرق. يقول غيب نياهن البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً «أظن أن الأساتذة باتوا يملكون دافعاً أقوى في نفوسهم لتقديم أفضل ما لديهم». ويضيف كورديل أنه يعلم أن أمام طلابه خيارات أخرى لذا فإنه هو والأساتذة يبذلون أقصى جهودهم «نشعر بالضغط إذ هناك دائماً من يهتف إلينا ويقول هذا غير مقبول. لا نستطيع أن نرضى بما هو متوسط الجودة».

يحرض ذلك الإحساس بالمنافسة الرغبة في التحديث. في مدارس KIPP الناجحة وهي مدارس تشارتر تنتشر في أرجاء أمريكا يبقى معظم الطلاب في الصفوف حتى

الساعة الخامسة بعد الظهر ويذهبون إلى المدرسة يوم السبت كل أسبوعين. يعطي الأساتذة إلى الطلاب أرقام هواتفهم الجوالة وهم جاهزون للإجابة عن أسئلتهم حول الوظائف في كل مساء.

في ضاحية بوسطن العنيفة دورشستر خرّجت أكاديمية تودمان وهي مدرسة تشارتر الثانوية ـ طلابها حصراً من الفقراء والأقليات ـ خرجت أول صف لها في العام الفائت وبلغ عدد الطلاب تسعة عشر. ومع أن معدل الخريجين الذين يتابعون دراستهم في الجامعة هو نصف عدد الصف المتخرج، فقد قبل كل تلميذ من خريجي كودمان في الجامعة.

للأسف يوجد عدد أكبر من الأولاد والأهالي في أمريكا ممن لا يتاح لهم المجال للالتحاق بمدارس مماثلة.

في تلك المظاهرة في مدينة نيويورك قال لي الأساتذة الغاضبون إن رواتبهم «قليلة بشكل رهيب».

أنا أفهم لم يشعرون بذلك. أوكلت إلى الأساتذة مهمة عظيمة وهي تعليم أولادنا ـ إحدى أهم الوظائف في العالم.

المعلم الأول: نحن نعمل كثيراً.

ستوسل: كم يبلغ راتبك الآن؟

الأستاذ الثاني: سبعون ألفاً.

ستوسل: كم يبلغ راتبك أنت؟

الأستاذ الثالث: ستون ألفاً دولار.

ستوسل: ماهو الراتب الأمثل لك؟

الأستاذ الثالث: خمسة وثمانون ألفاً.

هل رواتب 60.000$ و70.000$ قليلة بالنسبة لعمل مدة 9 أشهر في السنة؟ هذه الرواتب لا تتضمن الزيادات التي يكافأ بها بعض الأساتذة. يحظى أساتذة مدينة نيويورك بمعاش تقاعدي تضمن الحكومة فيه فائدة معادة لهم بنسبة 8.25 بالمئة ولا تحسم ضريبة المدينة أو الدولة من ذلك المعاش. كما يعطى لهم عشرة أيام إجازة مرضية في السنة.

معظم الأساتذة في أرجاء أمريكة الأخرى رواتبهم أقل من ذلك. وسطي راتب الأستاذ من الحضانة إلى صف الثاني عشر هو 45.081$ بالسنة. لكن معظم الأساتذة يعملون فقط تسعة شهور. إذا نظرنا إلى أجرة الساعة وسطياً للأساتذة من الحضانة إلى الصف الثاني عشر نجد أنها 30.91$ أي أكثر مما يجنيه الكيميائيون 30.64$ ومبرمجو الحاسوب 28.98$ والممرضات 26.87$ وعلماء النفس 28.49$.

لو كانت هناك سوق حرة في التعليم لجنى الأساتذة الأفضل رواتب أكثر بكثير من غيرهم. ألا تصدقوا ذلك؟ تذكروا، تنفق معظم المدارس 250.000$ على الصف الواحد. لو أعطي الأهالي حق الاختيار لانتقوا أفضل الأساتذة لأولادهم. الطلب على الأساتذة الجيدين سيرفع من قيمتهم. فيجني الأستاذ راتباً قدره 200.000$ في السنة.

لا أعلم ماذا تعني عبارة /راتب قليل/ في مجتمع حر لا يجبر أحداً على أن يصبح أستاذاً أو أن يظل أستاذاً إن توافرت له فرص أخرى. لو كان راتب الأساتذة منخفضاً لواجهنا أزمة نقص في الأساتذة. لسنا نعاني من ذلك. فمثلاً في ميسوري هناك 25 طلب لكل وظيفة تعليم في المدارس الابتدائية. هناك نقص أحياناً في الأساتذة المختصين بموضوع معين مثل الرياضيات والعلوم لكن ذلك نقص ناجم عن جنون المساواة في الرواتب بين الأساتذة وليس بسبب انخفاض الرواتب. في مدارس KIPP تشارتر لا ينتمي الأساتذة للاتحادات لكنهم يعملون برواتب أعلى بمقدار 15-20 بالمئة من نظرائهم في المدارس الحكومية.

هناك كلف وفوائد لكل وظيفة والسوق الحرة أكثر قدرة على حساب هذه الكلف والفوائد وأخذها بالاعتبار عند تحديد الرواتب. العقود المتماثلة للجميع في المدارس الحكومية الاتحادية تعاقب الأساتذة الجيدين وتكافئ السيئين.

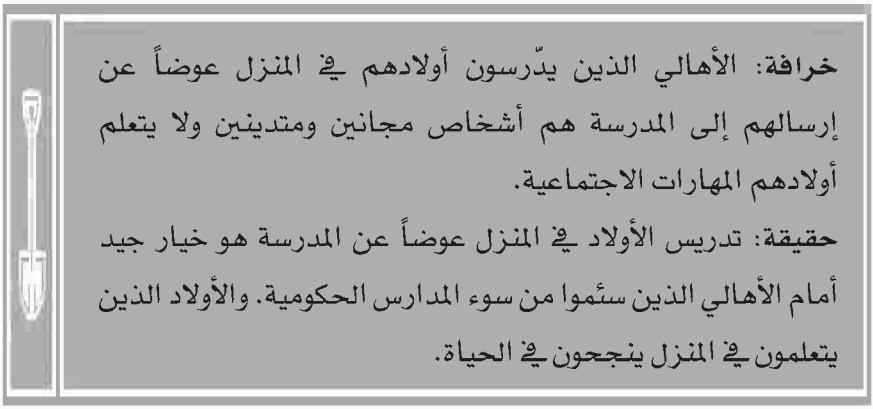

اليوم يتلقى أكثر من مليون طفل أمريكي التعليم في منازلهم. أي 2 بالمئة من الأولاد في سن المدرسة، وهذه النسبة تزداد 10 بالمئة في كل سنة.

يختار بعض الأهالي التدريس في المنزل لأسباب دينية ولكن عدداً كبيراً من الأهالي يختارون ذلك لأنهم سئموا سوء المدارس الحكومية.

يقول النقاد إن الأولاد الذين يتعلمون في المنزل لا يتعلمون الاختلاط مع أقرانهم. ويرد الأهالي الذين يعلمون أولادهم في المنزل: لم الافتراض أن المدرسة هي أفضل مكان لإنشاء العلاقات الاجتماعية بين الأولاد؟ أليست المدرسة هي المكان الذي يجب على الولد فيه أن يصب جام اهتمامه على الأستاذ وليس الأصحاب؟ يختلط الأولاد الذين يتعلمون في المنزل مع الأولاد الآخرين طوال الوقت في أمكنة مثل الكشافة، ودروس الباله، فرق كرة القدم، جوقة الكنيسة. والعديد منهم يأخذون الدروس في المنزل مع غيرهم من الأولاد.

أحرزت تريستين شارب الأستاذة في ساوث كاليفورنيا لقب «أستاذة العام». درس ولداها بنفس مدرستها لكنها لاحظت أن أحدهما كان متأخراً في دروسه.

قال لها أستاذه «لا أعلم ماذا يمكنني فعله» قررت شارب أنها تعلم ما يجب فعله. فاستقالت من وظيفتها وأصبحت تدّرس ولديها في المنزل. وسرعان مابدأ الأهالي يطلبون منها تعليم أولادهم أيضاً في المنزل. قالت تريستين «أخذت من الطلاب العدد

الذي يمكنني أخذه» وأصبحت لديها لائحة انتظار طويلة «كان الأهالي يهتفون لي ويقولون أليس هناك شيء يمكنك فعله؟ أي شيء؟ أي وقت من اليوم لديك فراغ؟ سأفعل كل شيء تطلبينه».

عندما زرنا تريستين في منزلها المدرسي، دهشنا من حماسة الطلاب للتعلم. قالت لنا كايمن يونغ التي كانت تكره حصة الرياضيات في المدارس الحكومية قالت «أحب الرياضيات، أنا مهووسة بالرياضيات». كانت حصة العلوم تعقد إلى جانب البحيرة قرب منزل تريستين: التقط الأولاد بعض الشراغيف (فراخ الضفادع) وركضوا إلينا ليشرحوا دورة حياة الضفادع. كان حبل معلق في الشجرة موضوعاً لحصة الفيزياء. أما في حصة الهندسة الفراغية فقد بنوا قلعة.

درس برايان راي في كل من المدارس الخاصة والمدارس الحكومية قبل أن يصبح رئيس المعهد الوطني لأبحاث التعليم المنزلي. قال إن الطلاب الذين يدرسون في المنزل يبذون في إنجازاتهم أقرانهم في المدارس الحكومية وقال «ظهر في دراسة تلو الأخرى أن الأطفال الذين تعلموا في المنزل سجلوا نقاطاً أعلى بنسبة 15-30 نقطة من المعدل الوطني. كما أن الأولاد الذين يدّرسون في المنزل سجلوا معدلات أكثر بـ 10 بالمئة من تلاميذ المدارس الثانوية في فحوص الـ ACT.

لا أعلم كيف يستطيع الأهالي الذين يدّرسون أولادهم في المنزل فعل ذلك. أنا لا يمكنني فعل ذلك. سينفذ صبري وسأختلف مع أولادي كثيراً. ومع ذلك يتعلم أكثر من مليون طفل في المنزل ويتفوقون في أدائهم على طلاب المدارس الحكومية.

خرافة: تسيء السندات المالية إلى المدارس الحكومية.
حقيقة: تحسّن السندات جميع المدارس.

إحدى طرق تحسين المدارس هي إعطاء الأهالي «سندات مالية» للتعليم. قد يكلف السند المالي الواحد ما يعادل الـ 10.000$ التي تنفقها المدارس الحكومية على كل طفل أو أقل. ويغطي سند مالي بقيمة 5.000$ القسط بأكمله في معظم المدارس الحكومية. والمهم في الأمر أن السند المالي تخصص النقود فيه للطفل.

وبما أن الأهالي يستطيعون إعطاء السند إلى أية مدرسة فإن ذلك سيجبر المدارس على التنافس.

يقول نقاد السندات المالية المدرسية إن هذه السندات «تخرب التعليم الحكومي» يقولون إن معظم الأهالي المطلعين والناشطين سيخرجون أولادهم من المدارس الحكومية ويتركونها لثلة الأولاد «المشاغبين» الذين لا يهتم بهم أهاليهم. وعندما ينسحب الأهالي المهتمون فإن ذلك يعني «سحب النقود من المدارس الحكومية». هذا يبدو معقولاً. بما أن مؤسسات التعليم الأمريكية منعت تطبيق برامج السندات المالية على نطاق واسع فإن اختبار هذه الخرافات صعب.

مع ذلك في عام 1990 ابتكرت مدينة ميلواكي برامج السندات المالية لبعض الأولاد. عندما بدأ البرنامج سخر روبرت بيتركين مدير مدرسة ميلواكي قائلاً «ليس هناك أي أساس من الصحة لفكرة أن المنافسة ستحسن كل المدارس».

كان بيتركين مخطئاً. في عام 2001 قامت كارولين هوكسبي عالمة الاقتصاد في هارفرد ببحث لتوضيح تأثير السندات المالية على المدارس الحكومية المجاورة. وجدت هوكسبي أن الأولاد الذين استخدموا السندات المالية للذهاب إلى المدارس الخاصة حصلوا على علامات أفضل من قبل. وكذلك كانت حال الأولاد في المدارس الحكومية المنافسة في نفس المنطقة. السندات المالية للمدارس الخاصة حسنت أداء المدارس الحكومية. قالت «أعطيت لمديري المدارس الحكومية استقلالية أكبر».

وقالت أيضاً «تم التخلص من الأساتذة السيئين أو الأساتذة الذين لم يواظبوا على الدوام ووضعت أسساً جديدة للمناهج في بعض المدارس الابتدائية التي كانت بأمس الحاجة إليها وذلك لتحسين مهارات القراءة والحساب». ارتفعت نتائج الامتحانات في تلك المدارس الحكومية بمعدل 8.1 بالمئة للرياضيات و13.8 بالمئة في العلوم و8.0 بالمئة في اللغة.

ليس ذلك مفاجئاً. المنافسة تطورنا. لم تشأ المدارس الحكومية أن تخسر طلابها والسندات المالية فعلت جهدها للارتقاء بمستواها.

لم تخسر تلك المدارس المال. فالسندات المالية تعادل 3.878$ أقل مما تصرفه الحكومة على الطفل الواحد (11.178$) في المدارس الحكومية فإن استخدم الطفل السند المالي للذهاب إلى مدرسة خاصة فإن هذا يترك أموالاً إضافية للمدرسة الحكومية. ازداد الإنفاق المخصص لكل طالب في المدارس الحكومية في ميلووكي منذ أن بدأ برنامج السندات المالية.

خرافة: ترهق السندات المالية المدارس الحكومية «بالأولاد المشاغبين».
حقيقة: السندات المالية تساعد «الأولاد المشاغبين» أيضاً.

يدعي المدافعون عن المدارس الحكومية أن المدارس الخاصة تتفوق في أدائها لأنها لا تأخذ الأولاد «المشاغبين» والأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يصعب تدريسهم.

يقولون إن المدارس الخاصة «لا تريد الأولاد المكلفين والذين يتطلبون الكثير من الوقت» فإذا أعطي للأهالي السندات المالية فإنهم سينقلون الأولاد الأذكياء إلى المدارس الخاصة و«سيترك الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة في المدارس الحكومية وحدهم».

لكن هذا غير صحيح. ففي فلوريدا الطلاب ذوو الإعاقة مؤهلون للحصول على سندات مالية تتراوح قيمتها بين 3.885$ و22.248$ وذلك بحسب شدة الإعاقة وخطورة وضعهم.

قال الكاتب جاي غرين إن «الطلاب المشتركين في هذه البرامج لا يواجهون صعوبة في إيجاد المدارس الخاصة التي تضمهم إليها مهما بلغت شدة إعاقتهم». وأضاف قائلاً «إن المدارس يسعدها أن تأخذ هؤلاء الطلاب لأنهم يجلبون الكثير من الموارد التي تساعد تلك المدارس على تعليم أولئك الطلاب».

ترك جوزيف ذو الاثني عشر عاماً وآلين باور خمس عشرة عاماً مدرستهما الحكومية والتحقا بمدرسة خاصة تستقطب الطلاب ذوي الإعاقة في التعليم. تحول آلاف من طالب مشاغب درجاته قرب معدل الرسوب إلى طالب ناجح بدرجة شرف. ملأت الدموع عيني الأم وهي تروي لنا هذا التحسن:

يدعي معلمو المدارس الحكومية أنه يجب محاربة برامج السندات المالية «لحماية» الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة، ولكن المدارس الحكومية هي التي تسيء إلى أولئك الأولاد وتسبب تخلفهم الدراسي.

أولاد مثل كيلة هاموند الذي يعاني من ADD (مرض نقص التركيز) وقد قال لجدته ديل إنه لم يكن عليه الدراسة لأنه كان قد حصل على نسخة من أسئلة الامتحان كتبت عليها الأجوبة.

ستوسل: هل أعطوه الأجوبة؟

ديل: قال لي «نانا لقد فعلوا ذلك مراراً إنهم يريدون تعليمي الغش!»

وهذا بالضبط ما كانوا يفعلون كي ينجحوه إلى صف أعلى. إنها سياسة لا تدع أي طفل يتخلف أنت تعلم ذلك؟ نجحوه إلى الصف الأعلى ودعوه يرحل عنا. إنهم لا يهتمون أبداً.

التحق كيلة الآن بمدرسة خاصة وتحسن أداؤه كثيراً. قالت جدته «إنه ليس نفس ذلك الطفل». إن الأطفال «المشاغبين» مثل كيلة هم الذين يستفيدون من الخيارات.

خرافة: تخرق السندات المالية قانون الفصل بين الكنيسة والولاية.
حقيقة: لا تفعل ذلك إن اختار الأهالي المدرسة.

معظم الأهالي الذين يتلقون السندات المالية المدرسية يستخدمونها لإرسال أولادهم إلى مدارس دينية. في عام 1999 رفعت جمعية التعليم في أوهايو مع مجموعات أخرى (مثل الناس من أجل الطريقة الأمريكية) رفعت دعوى قضائية قالت فيها إن برنامج السندات المالية في كليفلاند يخرق قانون الفصل بين الكنيسة والولاية الذي ينص عليه البند الأول (لن يسن الكونغرس أي قانون يدعم المؤسسات الدينية...)

شكلت تلك الدعوى القضائية تهديداً حقيقياً لبرامج السندات المالية. فالسماح للأولاد باختيار المدارس الدينية هو على الأرجح الطريقة الوحيدة لنجاح برنامج

السندات المالية ـ على الأقل في بدايته ـ لأنه اليوم معظم المدارس غير الحكومية لها ممول ديني ـ عادة الكنيسة الكاثوليكية.

دافعت الشركة القانونية لحماية مصلحة الجماهير ومعهد العدالة عن برامج السندات المالية في كليفلاند وجادلت أنه طالما استطاع الأهالي والأولاد اختيار الذهاب إلى المدارس الدينية ولم يجبروا من الحكومة على ذلك فإن البرنامج لا يعتبر مؤسسة دينية.

وافقت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. ابتهج الأهالي في كليفلاند الذين تأهلوا للحصول على السندات المالية. قالت روبرتا كيتشن «الآن أملك فرصة انتقاء مدرسة جيدة لابني هذه الفرصة التي كانت بملك الأهالي الأغنياء لعديد من السنوات. يعني اختيار المدرسة، أن أولادي لن يهملوا أو يعاملوا دون اكتراث. إن لم يحظ أطفالي بتعليم لائق لدينا القدرة على اختيار شيء أفضل. لدينا الآن حق الانتقاء».

فكرة السماح للناس بوضع النقود المخصصة للتعليم في المدرسة التي يختارونها ليست فكرة جديدة. بعد الحرب العالمية الثانية أرسل غي بيل 2.230.000 محارباً إلى الجامعات التي شملت الكليات الدينية مثل نوتردام (كاثوليك)، بريهام يونغ (مورمون) وبيلور (باتيست). سمح الجيش للمحاربين بانتقاء أية كلية يريدون. ساعدت السندات المالية لغي بيل على احتدام المنافسة بين الجامعات الأمريكية فأصبحت أعظم جامعات في العالم.

أما كان عظيماً لو أتيح لنظام التعليم من الحضانة إلى الثانوية الحصول على هذا التفوق أيضاً؟

خرافة: التعليم الحكومي من الحضانة إلى الثانوية هو أفضل شيء في أمريكا.

حقيقة: التعليم الحكومي من الحضانة إلى الثانوية مخزٍ.

لم يكن في الولايات المتحدة مدارس تديرها الحكومة دائماً.

كان الأهالي يدرسون أولادهم في المنزل وكانت الجامعات والجاليات تبني مدارسها الخاصة لتساعد الأولاد. في الثلاثينيات بدأت حملة لجعل حكومات الولايات تمحور التعليم.

بعد ذلك بدأت الشكوك الصحيحة تساير الأشخاص حول التعليم الحكومي. بعد أن شُكل مجلس التعليم في ولاية ماساشوستس تم إلغاؤه. بحجة أنه «يبدو أن تأسيس مجلس التعليم هو بداية لنظام مركزي محتكر يضع السلطة في أيد قليلة وهذا يخالف من جميع الجوانب الروح الحقيقة لمعاهدنا الديمقراطية وهذا إن لم يتم مراقبته بدقة سيؤدي إلى نتائج خطيرة غير متوقعة».

كم كانوا محقين.

لكن هوراس مان الذي لقب أبا التعليم الحكومي نشر على الملأ فكرة أن التدريس الحكومي هو أداة لمعالجة كل الأمراض الاجتماعية.

قال إنه ما إن يتم التعليم الحكومي حتى «تختفي تسعة أعشار الجرائم القانونية» كالمعتاد الحقيقة التي ينتجها الاشتراكيون لا تتطابق مع وعودهم.

حلم الاشتراكيين بالكمال يصبح عدو الجيد. لو تركت المدارس الخاصة المتنافسة لشأنها لتوسعت واستعملت نقود المساعدات الخيرية لخدمة الفقراء ـ لخدمتهم أفضل بكثير مما يفعل الاحتكار الحكومي الآن.

كم هو حزين أننا «نحمي» أطفالنا من فوائد المنافسة بإجبارهم على الخضوع للاحتكار. ماذا لو أجبرناكم على الحصول على الطعام بتلك الطريقة؟ كأن تدفعوا ضرائب لدعم «النظام الغذائي» ثم يخصص لكم مطعماً واحداً لأكل كل الوجبات. ماهي الخدمة التي ستحصلون عليها؟

الاحتكارات لا تحب التجديد. لم تمتد السنة الدراسية من أيلول إلى حزيران؟ لأن المدارس الحكومية مازالت تستعمل تقويم المزارع لتحديد متى يجب على الطلاب

الذهاب إلى المدرسة. في عام 1830 كان الأولاد يحتاجون إلى العطلة في الصيف كي يزرعوا المحصول ويقتلعوا الأعشاب الضارة. يوضح ذلك أندرو كولسون مؤلف كتاب Market Education «بالطبع لم نعد مجتمعاً زراعياً لذلك تغيرت متطلبات الدراسة لكن المدارس الحكومية ليست منظمة ترتكس لطلب المستهلكين».

بالتأكيد ليست كذلك. قد يفضل بعض الأهالي مدرسة تدوم كافة أشهر السنة. اليوم نسبة عائلات أقل من 2 بالمئة تحصل على دخلها من الزراعة. هل استجاب النظام التعليمي مع ذلك؟ لا.

لم لا يستطيع الأطفال تعلم الرياضيات من ألعاب الفيديو؟ لم لا يستطيع المراهقون الذهاب إلى المدرسة في الليل عندما تكون ساعاتهم البيولوجية في أفضل حالاتها؟ لم لا نملك حق الاختيار؟

التعليم الحكومي مقدس لا يمكن المساس به. لكن المدارس الحكومية أصبحت رديئة. يقول الناس إن أمريكا تملك أفضل نظامٍ تعليمي في العالم لكنهم يقولون ذلك لأنهم لا يعرفون نظماً أخرى.

يقول الليبراليون الصرفون إن الحل الوحيد هو إلغاء تورط الحكومة بالتعليم ـ التفرقة يجب أن تكون ليس بين الكنيسة والولاية وإنما بين المدرسة والولاية. الأهالي يدفعون لتعليم أولادهم والمساعدات الخيرية تدفع لتعليم الفقراء.

لكنني أعتقد أن الأمريكيين تعودوا على «تخويل الحكومة التعليم» ولهذا فإن التعليم الذي تموله الحكومة سيخلد.

مع ذلك فإن التمويل الحكومي يختلف عن الإدارة الحكومية.

يجدر بنا أن نعطي أولادنا فرصاً للالتحاق بمدارس جيدة كما نحظى نحن بخدمات ومنتجات جيدة في حياتنا. والطريق إلى ذلك هو بكسر أغلال الاحتكار الحكومي وإعطاء الأهالي الخيار.

يجب أن يختار المستهلكون أين يريدون التعلم.